تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

لا يخفى على الباحث المهتم بالفكر الفلسفي في العصر الوسيط مكانةُ الفلسفة الإسلامية، وإسهاماتها في تطوير كثيرٍ من الحقول المعرفية (المنطق، الأنطولوجيا، السياسة، العلوم الطبيعية، الرياضيات...). كما لا يخفى أن التأريخ لهذه الفلسفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين شابه كثير من النقائص، إلى درجة نفي أصالتها واختزالها أحيانًا كثيرة إلى «مجرد فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية» على حدِّ القول المشهور لإرنست رينان! هذا فضلًا عن اختزال مدارها على نحو ضيق يستبعد الكتابات الكلامية والأصولية، والإسهامات المتخصصة في الرياضيات والطبيعيات، مما جعل الحصيلة مفتقرةً إلى استيعاب بنية الفلسفة الإسلامية بوساعتها وتنوُّع حقولها.

وهذا الوضع يفرض المبادرة إلى التصحيح بإنجاز مشاريع بحثية جديدة تُسهِم في تطوير النظر إلى الفلسفة الإسلامية، بسبر مسارات تهتمُّ بالسياقات المشتركة في تاريخنا الثقافي، بين علوم الطبيعة والكلام والأصول، وبين ما يُسمَّى اختصاصًا بالفلسفة. لكن حتى في ذلك المدار الاختصاصي لا يخفى على الدارس للنمط المتداول في التأريخ للفلسفة الإسلامية أن أغلب تلك الدراسات التأريخية يختزل الفلسفة الإسلامية في أسماء محدَّدة، هي تلك التي كان لها اشتغالٌ على المسائل الأنطولوجية والمنطقية والقيمية من مداخل مفهومية ومنهجية إغريقية، بل لن نبالغ لو قلنا إن الفلسفة الإسلامية في تلك الدراسات تكاد تحصر البحث في ستة أعلام فقط، أي: الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وابن طفيل وابن رشد! وإذا جرى استحضار غيرها، فلا يكون ذلك إلا استحضارًا هامشيًّا جدًّا، أو على نحو عابر.

بل حتى على مستوى التأريخ لأولئك الأعلام الستة، ثمة خلاف جذريٌّ في كيفية تقديم نتاجهم المعرفي: إذ تسود في بعض الكتابات الاستشراقية وكذا الإسلامية نظرةٌ تنقيصيةٌ تعدُّهم مجرد أتباع للفلسفة الإغريقية، وألَّا جديد لديهم ولا إضافة،

حيث كانوا مجرَّد شُـرَّاح للمتن الفلسـفي الإغريقي. وثمة مفارقة جليَّة في كون هذه النظرة التنقيصية يقول بها المستشرق كما يقول بها مَن يعادي الاستشراق ويدعو إلى نقده وتجاوزه:

فعند الأستاذ علي سـامي النشـار مثلًا حرصٌ على نعت أولئك الأعلام بكونهم مجرد مُقلِّدة، وأن دورهم في تاريخ الفكر الفلسفي لا يتعدى دور الشارح، تمامًا مثل دور الشُّـرَّاح الإسـكندريين المتأخريـن أمثـال أمونيوس وسـمبليقيوس...، حيث لا جديد لديهم سـوى التحشـية على المتنين الأفلاطوني والأرسـطي. بل حتى ما يبدو لدى الكندي وابن رشـد من لمحاتٍ اجتهادية فهي حسـب النشـار فِكَرٌ مسـتعارةٌ من المعتزلة والماتريدية.

وهذا الموقف الذي عبَّر عنه النشـار في كتابه «**نشـأة الفكر الفلسـفي في الإسلام**» لم يبدأ معه، بل بدأ مع أسـتاذه مصطفى عبد الرزاق في كتابه الشـهير «**تمهيد لتاريخ الفلسـفة الإسـلامية**»، كما أن هذا الموقف لم ينتهِ مع النشار، بل وجد مَن ينافح عنه، أو عن بعض مقتضياته، عند أمثال الأساتذة محمود الخضيري، ومحمد عبد الهادي أبـو ريدة، وسـليمان دنيـا، وعبد الحليم محمود... وغيرهم؛ ممَّـن دافعوا عن أصالة التفكير الإسلامي، وأن استحقاق وَسْم الفلسفة لا يشترط بالضرورة أن يكون النتاج سائرًا على رسم اليونان.

وهذه دعوى إن تقاطعت مع الاستشـراق في الموقف من الفارابي وابن رشد...، وغيرهمـا ممن اشـتهروا بنعت الفلاسـفة، فإنهـا تختلف معه في الموقـف من الفكر الاسـلامي، وقيمة إسـهاماته، حيث توسِّـع تلك الدعوى من مدار الفلسفة الإسلامية لتبرز أصالتها وتميزها عند أمثال ابن تيمية وابن خلدون...، أي في مظان خارجة عن المدار التصنيفي الكلاسـيكي للفلسفة. وهذا الاختلاف قد يُثمر مسلكًا بحثيًّا جديدًا في ماهية الفلسفة الإسلامية، ومظان البحث عنها.

ومـن ثغـرات التأريـخ للفكـر الفلسـفي الإسـلامي إغفالُ تأثيـره في تطـور الفكر الفلسـفي خـارج السـياق العربـي الإسـلامي، ونعنـي تأثيـره فـي الفلسـفة الوسـيطة الأوروبيـة (تومـا الأكوينـي، وروجـر باكـون، ودان سـكوت...)، إذ علـى الرغـم من

حرص كثيرٍ من الفلاسفة اللاتين على نقد ابن سينا وابن رشد...، فإن ملامح التأثُّر بهما ملحوظة في ثنايا أطاريحهم؛ مما يستوجب إعادة النظر في صلات الفكر الفلسفي الإسلامي، وتأثيراته في الفلسفة الغربية الوسيطة.

وعليه، ووعيًا باستشكال الوضعية البحثية المؤطرة للتفكير في الفلسفة الإسلامية، فقد استكتب **مركز نهوض للدراسات والبحوث** مجموعةً من كبار المتخصصين في الفلسفة الإسلامية، وكانت محصلة ذلك الاستكتاب هذا الكتاب الجماعي، الذي تنتظم فصوله في ثلاثة أقسام:

يتناول **القسم الأول** إشكالية أصالة الفلسفة الإسلامية، مع التركيز على نقد النظرة الاستشراقية، والتنبيه على دور تلك الفلسفة ضمن بنية الفكر الفلسفي العالمي. ويضمُّ هذا القسم: دراسة الدكتور محمد الشيخ بعنوان «**في الحاجة إلى إعادة قراءة الفلسفة العربية الإسلامية**»، حيث يدعو إلى تصحيح التمثلات الشائعة للفلسفة الإسلامية وإنصاف تنوُّعها وثرائها، وتخليصها من أربع مظالم يرى أنها لحقت الفكر الفلسفي الإسلامي: مظلمة الاتهام والإقصاء التي مسَّت الفلاسفة خلال التاريخ الإسلامي، ومظلمة اختزاله في نموذج محدَّد وإهمال نماذج أخرى، ومظلمة الاستشراق الذي قدَّم الفلسفة الإسلامية بوصفها مجرد نقل من الفلسفة اليونانية، ومظلمة البحث المعاصر الذي سقط هو أيضًا في توجيه الاهتمام بشكل اختزالي. ولمواجهة هذه المظالم، يقترح الشيخ إعادةَ النظر في المسار التاريخي للفلسفة العربية الإسلامية من أجل تجاوز الرواية التقليدية، والكشف عن تنوُّع مجالات الفكر الفلسفي الإسلامي، ودمج إسهاماته في المسار الفلسفي العالمي.

وفي الدراسة المعنونة بـ«**تجديد الإبداع المنهجي**» للدكتورة يُمنى طريف الخولي، نجد استحضارًا لأهم مفاصل تاريخ العقل العلمي والفلسفي في الحضارة الإسلامية، بوصفه مسارًا متصاعدًا بدأ من الحدث القرآني بوصفه مركزًا مرجعيًّا شكَّل بنية الوعي، لتتبعه الدوائر المعرفية التي نتجت عنه، أي: علوم اللغة، ثم علوم الدين النقلية، فالأصول النقلية/ العقلية (أصول الفقه وأصول الدين)، وصولًا إلى العلوم العقلية، كالمنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعيات. وتؤكِّد الخولي أن

الإبـداع المنهجـي في الحضارة الإسـلامية بدأ مع أصول الفقه وأصـول الدين (علم الـكلام)، وأنتج تقاليد اسـتدلالية، تطوَّرت في مجالات العلـوم الطبيعية والرياضية. وتشير الخولي إلى ضرورة تجديد الإبداع المنهجي عبر توطين المنهجية العلمية في الثقافة الإسـلامية المعاصرة، لبناء أنموذج (بارادايم) علمي إسلامي حديث، تحقيقًا لهوية علمية حضارية قادرة على الإسهام في التعدُّدية المعرفية لعالم ما بعد المركزية الغربية.

أمـا الدكتـور أحمـد محمد جـاد عبد الـرازق، فقد أبان في دراسـته «**في الفلسـفة الإسـلامية ومسـتجداتها**» التوتُّر القائـم بين الخصوصية والكونيـة، للدفاع عن العقل الإسـلامي أمام الرؤية الاختزالية الاستشـراقية. ويقترح جاد تجاوز منطق «الردّ» إلى منطـق «الإبـداع»، حيث تتجلَّى الهوية الحقيقية للفلسـفة الإسـلامية في قدرتها على الجمع بين الانتماء والانفتاح.

أما **القسـم الثاني** فتركَّز البحث فيه على بدايات التأسيس الفلسـفي داخل الثقافة الإسـلامية، مـن خـلال تتبُّـع اسـتقبال المنطـق الأرسـطي، وتأصيـل أدوات التفكير العقلاني، إلى ابتكار مناهج جديدة في الاستدلال. ويضمُّ هذا القسم: دراسة الدكتور الحسـين أخدوش بعنوان «**تجليات حضور المنطق الأرسـطي في الفلسفة الإسلامية الكلاسـيكية**»، حيـث يتتبـع كيفيـة تلقّـي فلاسـفة الإسـلام هـذا النظـر المنهجي عبر الترجمـة، وكيـف أعادوا بناءه في ضوء حاجات التفكير الإسـلامي. فمن ابن المقفع وحنيـن بـن إسـحاق إلى الفارابي وابن سـينا، تجاوز البحث المنطقـي النقل الحرفي نحـو الإبـداع المفهومي والتقني (الأداتي)، مـع توظيفات في حقول معرفية جاوزت التوظيف الأصلي للمنطق الأرسطي.

أما الدكتور الحسـان شـهيد فيقصد في دراسته «**النظر الأصولي في مجالي الدلالة والاسـتدلال**» إلى إيضاح كيفية اسـتيعاب علم أصول الفقـه المنطق اليوناني، وكيف أعـاد تشـكيله ضمـن حاجات الاجتهـاد الإسـلامي، مانحًـا العقل الفقهي اسـتقلالًا منهجيًّـا خاصًّـا، مؤكـدًا أن العلاقـة بيـن المنطق والأصـول لم تكن علاقـة تبعية، بل علاقـة تفاعـل نقـدي إبداعـي. وفـي هـذا السـياق ركَّـز الحسـان شـهيد علـى تطوير

الأصوليين لمفاهيم الدلالة والاستدلال بما يتجاوز القياس الأرسطي، لتصبح أدوات الاجتهاد الأصولي تجسيدًا لروحٍ عقلية تجمع بين الصرامة البرهانية والمرونة المقاصدية.

وإذا كانت دراسة الدكتور الحسان شهيد ركَّزت على صلة المنطق بأصول الفقه، فإن الدكتور محمد الصادقي ركَّز في دراسته «**علم الكلام المتأخر وصلته بالفلسفة والمنطق**» على كيفية حضور المنطق في الدراسات الكلامية، حيث يشير إلى التحوُّل الذي شهده علم الكلام بعد الغزالي، حين تبنَّى أدوات المنطق واستدخلها في الدراسات الإسلامية بوصفها معيارًا ومحكًّا للنظر. وفي هذا السياق يوضِّح الصادقي أن التفاعل الجدلي بين علم الكلام والإلهيات الفلسفية لم يكن خروجًا عن أصالة البحث الكلامي، بل كان تطورًا معرفيًّا أسهم في تجديد علم الكلام وتطوير تقنياته المفهومية والمنهجية.

وأما **القسم الثالث** فيضمّ دراسة الدكتور محمد بنحماني بعنوان «**إشكالية تلقي ابن رشد وشرحه لفلسفة أرسطو في الفلسفة العربية المعاصرة**»، حيث حلَّل كيفية قراءة الفكر العربي الحديث للرشدية، وما تعكسه من تصورات مختلفة للحداثة والعقلانية، من خلال ثلاثة من كبار دارسي التراث الفلسفي الاسلامي: ناصيف نصار، ومحمد عابد الجابري، ومحمد المصباحي، مبرزًا اختلافهم في تأويل دلالة الفلسفة الرشدية، مما يجعل البحث ذا قيمة في الاقتراب من ابن رشد من جهة، وكذا إضاءة كيفية تلقيه في الفلسفة العربية المعاصرة من جهة ثانية.

وفي الدراسة المعنونة بـ«**فعل الفلسفة الإسلامية في الفكر اللاهوتي اليهودي**»، يدرس الدكتور يوسف الكلّام دور الفلسفة الإسلامية في تشكيل الفكر الفلسفي واللاهوت اليهودي خلال العصر الوسيط، عبر تتبُّع مسارات تأثير الفكر الإسلامي في نخبة من مفكري اليهود بالمشرق والأندلس والمغرب. ويقوم البحث على فرضية مركزية مفادها أن النهضة الفلسفية واللاهوتية للفكر اليهودي لم تنشأ إلا في رحاب الحضارة الإسلامية، وبفعل الاحتكاك المباشر بنتاجها الكلامي والفلسفي. ولتوكيد ذلك يستحضر الكلّام أهمَّ أعلام الفكر اليهودي، مبينًا تأثُّرهم بالفكر

الكلامي والفلسفة الاسلامية، مبرزًا كيف اضطلعت آليات الترجمة بدور الوسيط في نقـل المفاهيـم وإعـادة صياغتها. كمـا بَيَّنَ كيف أسـهمت الترجمة العبريـة في انتقال التراث الفلسفي الإسلامي إلى الغرب اللاتيني.

وأخيرًا تأتي دراسـة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي بعنوان «**الفلسفة الإسلامية واللاهوت الفلسـفي المسـيحي في العصر الوسيط**»، لتدرس تأثير الفلسفة الإسلامية في الفكر اللاهوتي الأوروبي، من خلال استعراض مشاريع الترجمة المؤسسية التي انتشرت في أوروبا في مراكز علمية حيوية، مثل طليطلة وصقلية ودير كلوني، حيث عمل مترجمون بارزون -كجيرارد الكريموني ودومنيكوس جونديسالينوس ومايكل سكوت- على نقل أعمال كبار الفلاسفة المسلمين من العربية إلى اللاتينية، وهو ما أدى إلـى ظهور تيارات فلسـفية جديدة، مثل «**الرشـدية اللاتينيـة**»، وتحولات نوعية، مثل النقلة من الأوغسـطينية إلى التوماوية، التي يرجعها الشـرقاوي إلى أسـباب منها التأثير الرشدي.

وبعد، فإن **مركز نهوض للدراسـات والبحوث** إذ يُقدِّم هذا الكتاب الجماعي إلى جمهور القُرَّاء والمتخصصين، ليأمل أن يكون قد أسهم في تقديم رؤى تحليلية نقدية تسـعى إلى إعادة الاعتبار للفلسـفة الإسـلامية وبيان مكانتها داخل المشهد الفلسفي العالمـي، بما هي نتاج معرفي أسـهم فـي تجديد أدوات التفكير والمسـاءلة، وتوكيد دور المثاقفة الفلسفية في تطوير بنية المعارف ونُظُمها المنهجية.